النفس البشرية

مقالة مختصرة

صنّفها المفريان العلّامة ابو الفرج المعروف بابن العبري

(تابع لما قبلُ)

الفصل الرابع والعشرون

في بيان اتحاد النفس بالجسد

زعم قومٌ انّ الاتحاد مُحالٌ وعلّلوهُ بالامتزاج والاختلاط والفساد وهذا رأيٌ باطل لانّهُ ليس كلّ شيء يتّحد بشيء آخر يلزم فيهِ هذه الاحوال. وذلك انّ النار تتّحد بالذهب وشعاع الشمس يتّحد بالفضاء. فاذا كان الامر كذلك فكم بالحري انّ النفس وهي غير جسم تتّحد بالجسم ولا يحصل لها الفساد والتّبلبل لانهُ من المستحيل ان يتحوّل الجوهر البسيط الغير الجسم الى صورة جسم. واذا لم يكن هذا التحوُّل فتمّ الاتحاد دون تغيير وفساد كما يتّحد النطق بالصوت والنار بالذهب وما اشبه ذلك

الفصل الخامس والعشرون

في بيان الاسباب التي لاجلها يحصل اتحاد النفس بالجسد

يحصل ذلك لأسباب شتّى نذكر في هذا المختصر شيئاً منها: (الوجه الأوّل) هو انّهُ لا يكمل فعل النفس الّا بالآلة البدنية. فانّها اذا بذلت جوهرها في تحصيل الفضائل ودَفع الرذائل تبلغ الغاية القُصوى والرتبة العالية. وهذه الامور لا يمكن الوصول اليها الّا بالبدن (١. (الوجه الثاني) انّ الجسم يكمل بهذا الاتحاد وذلك انّهُ لا فرق بين جسم

---

١) كما انّ الجسد يكتسب كمالًا عظيماً باتحاده مع النفس كذلك النفس تكمل باتحادها مع الجسد لانّها لا تبلغ الى معرفة الكائنات الّا بواسطة حواسّ الجسد فتجرّدها النفس بواسطة العقل بالفعل من خواصّها الهيولية فتعقلها وتدرك معانيها. امّا تحصيل الفضائل الذي ذكرهُ المؤلف فانّ النفس تمارس بعضها في البدن كالعفّة والقناعة والامانة الّا انّ في ممارسة اكثر الفضائل لا تجد النفس في جسدها إلّا إعاقةً وموانعاً فاذا انتصرت على هذه الموانع زاد كمالها

الانسان وجسم الثور والفرس الّا باضافته الى هذه النفس. واذا فعلت النفسُ به جميع ما هو مطلوب منها ارتفع عنها هوان البدن بعد القيامة الى عالم الملائكة وتخلد فيه دائماً. وهكذا تأخذ النفسُ جسماً مساوياً للبهائم فتجعلهُ مستحقاً لعالم الروحانيين. وبهذه الحالة يُعرَف جلال البارئ تعالى الذي ركّب من العالم المعقول والعالم المحسوس عالماً آخر مجتمعاً من العالمين وهو الانسان تبارك اسم الخالق العليّ العظيم

الفصل السادس والعشرون

في بيان الاسباب التي من اجلها وجب افتراق النفس من الجسد

نقول انّ السبب الاوّل لذلك تجاوز ابينا آدم عن الامر الالهيّ فاستوجب بعصيانهِ قَبول الحدّ عليه. والسبب الثاني هو ان يحصل الجسم على معاد أكمل واجمل من صورتهِ الاولى لانّ هذه الصورة تتشعّث وتنهدم ولا تصلح للثبات والدوام الذي لا نهاية لهُ (١

الفصل السابع والعشرون

في بيان الاعضاء التي بها تتّحد النفس

لا شكّ انّ فعل النفس في جميع الاعضاء هو واحدٌ (٢ ولكن لا بُدَّ من ان تختصّ ببعض الاعضاء فتكون في عضو من اعضاء الجسد اكثر من غيرهِ (٣ وهذا القول فيهِ رأيان احدهما يقول انّ وجود النفس في الدماغ لانّهُ معدن لحواسّ العشر. والرأي الآخر انّ وجود النفس الخاصّ في القلب الذي هو معدن الحياة والحركة. والرأي الثاني هو الارجح والاصحّ (٤

هذا (٥ وللنفس خواصّ في الجسد الانسانيّ المركّب وهي انّها تبقى روحانيّةً عديمة

---

١) يريد انّ الله تعالى في يوم البَعث يكسو اجسامنا بخواصّ وصفات تجعلها شبيهة بالارواح كالبقاء والنور وسرعة الحركة وتفوذ الاجرام الصلبة. ولو ثبت آدم على طاعة الله لحصل عليها ايضاً دون ان ينحلّ جسمهُ بالموت

٢) يريد من حيث وجود النفس واتحادها مع الجسم لا من حيث مفعولها

٣) اي من حيث مفاعيلها الحيوية في بعض الاعضاء الرئيسية فاذا أُصيبت هذه الاعضاء بأذًى كبير فسدت الحياة وحلّ الموت

٤) لا ينكر المؤلف بقولهِ هذا انّ الدماغ كالة تستخدمها النفس لابراز افعالها النطقيّة

٥) في احدى النسختين قد أُفرد فصلٌ خاصّ لبقيّة الباب

الموت والتبلبل . واما خواصّ الجسد فأن يكون جسمانيًا قابلًا للموت والامراض والتقطيع

الفصل الثامن والعشرون

في بيان خواصّ النفس التي بها تنفصل عن سائر الموجودات مع كونها في الجسد

خاصّتها الاولى من هذا القبيل انّها مفكّرة تتصرّف فيما تفعلهُ . الثانية انّها مع كونها مرتبطة بالجسد تتخيّل وتتمثّل الامور البعيدة عنها مثل القريبة . الثالثة انّها عند نوم الجسد تتفكر فيما تفعلهُ في اليقظة (١ . الرابعة انّها تحزن بحزن الجسد وهي غير مغتمّة بطبعها . الخامسة انّها تبغض الإثم وتحبّ البرارة ولو غُلبت في اكثر اوقاتها . السادسة انّها تجد العلوم والصناعات المختلفة

الفصل التاسع والعشرون

في بيان اصل النفس وتولّدها في الجسد

قد (قال قوم) انّها وُجدت من كيان الله تعالى وجوهرهِ . وهو قول باطل لانهُ عزّ وجلّ بسيط لا يقبل القسمة ولا يتصوّر العقل ان يكون الانسان مركّبًا من الخالق والبدن وهو بهذه الحالة . (وقال آخرون) انّ النفس تتولّد بعضها من بعض . وهذا كاذبٌ لانّ المتولّد من غيرهِ لا يصدق الّا على الاجسام وذلك بشروط لا تليق ببساطة النفس . ولو صحّ ذلك لكان في الملئكة اوضح وهو باطلٌ . (وقال آخرون) انّها تتولّد من الزرع البشريّ وهو محال لانّ ذلك جسمٌ والنفس ليست بجسم . ولمّا بطلت هذه الآراء وما يشاكلها ظهر الحقّ وهو انّ الله تعالى يخلق النفس لا من شيء . يسبقها وذلك مثالها ارجد العقول المجرّدة (٢

الفصل الثلاثون

في بيان ايّ مكان خُلقت فيهِ النفس أفي داخل البدن ام خارجًا عنهُ

هذا القول فيهِ رأيان : الاوّل انّ النفس خُلقت في البدن وقد ذكر ذلك حكماء اليونانيين وذكروا انّها خُلقت خارج البدن (٣ وأتت اليهِ . والرأي الثاني أرجح لانّ البسيط يليق بالبسيط والنفس بسيطة لائقة بعالم البسيط العاري عن ملابسة الاجسام . فاذًا وجود النفس اي خلقتها خارجًا عن الجسم هو اصدق (٤

---

١) انّ ذلك في اغلب الاحيان ينتج عن القوّة المخيّلة وليس هو فعلًا نطقيًا محضًا

٢) اي الملائكة ٣) وهو راي افلاطون

٤) نقول ان في هذا القول شططًا . والصواب انّ الله خلق النفس في البدن لا خارجًا عنهُ .

الفصل الحادي والثلاثون

في بيان اي وقت تُخلق به النفس أبعد خلقة الجسد او قبلهُ او معهُ

قال قومٌ من الاقدمين انَّ النفس خلقةٌ قديمة قبل البدن. وهذا مُحال. لأنَّهُ لا يخلو القول عن احد امرين اما ان تكون النفس واحدة وتحلُّ في سائر الابدان واما ان تكون انقسمت قبل الحلول في البدن. والاوَّل مُحال لأنَّهُ يلزم منهُ انَّ ما يصلهُ الواحد يصلهُ الكلّ وهو باطل. والثاني لا صحَّة لهُ ايضاً لانَّ النفس بسيطة وما كان بسيطاً لا تطرأ عليهِ القسمة. وكان يجب مع ذلك ان يكون الخلف بين النفوس بالفصول والعوارض. وكلا القولين باطل لأنَّهُ يلزم من الاوَّل انَّ النفس تكون مركَّبة من الجنس والفصل مثل بعض الحيوانات. والثاني مُحال لانَّ النفس قبل الاتحاد بالبدن لا تدخل عليها العوارض فبطل من ثمَّ القول بقِدَم النفوس (١

وقال قوم انَّ النفس خُلقت بعد البدن باربعين يوماً وهو زعمٌ باطل لانَّ البدن دون نفس تربيهِ يمتنع في حقِّهِ التصوُّر والتكوين والانتقال من صورة الى صورة اخرى. فيتعيَّن اذن القول الاخير اعني وجود النفس والجسد معاً. اعني انَّ النفس توجد لمَّا يصلح الجسد للصورة الانسانية باعتدال قوامهِ واستحكام مزاجهِ فيكون مستحقًّا لأن تُضاف النفس اليهِ بالاتحاد

الفصل الثاني والثلاثون

في بيان اين هي النفس هل داخل البدن او خارجاً عنهُ او في المكانين معاً

اعلم انَّ لفظة « اين » تقال على احد عشر نوعاً والنفس مسلوبة عن الجميع لانَّ هذه اللفظة لا تليق بجوهرها البسيط. اما الانواع المذكورة فهي مثل الاجزاء في الكلّ

ولو صدق قول المؤلف لوُجدت النفس حيَّاً ما بلا جسدها وهو قول باطل. والبرهان الذي استند اليهِ المؤلف لتأييد زعمهِ ضعيف واهن ينتج عنهُ انَّ النفس من حيث انها لا تقبة بعالم البسيط لم تُخلق لمساكنة الجسد وملابستهِ وهي تهمة فاسدة كما يظهر ايضاً من الفصل التالي

١) ويمكن قول ثالث لم يذكرهُ هنا ابن العبري وهو ان تُخلق النفوس متعددة كالملائكة. وهو قول ايضاً لا صحَّة لهُ لانَّهُ لو خُلقت قبل البدن لبقيت فارقةً عن العمل وهو باطل لانَّ الله لم يخلقها لتعيش مجردة عن الجسم كارواح الملائكة بل لترتبط مع الأبدان وتأخذ موادّ فهمها وعلمها من الحواسّ. اما وجود النفوس بعد الموت منفردةً عن الجسد مدَّةً ما فان ذلك امر قد قضى الله بهِ على البشر عقاباً على خطيئة الابوين الاوَّلين

والكلّ في الاجزاء. والجنس في الانواع وعكسه وكمثل الزمان والمكان والإناء. والصورة في الهيولى والتدبير والتكميل والعرض في الجوهر. امّا الاوّل فمثل الاعضاء في البدن. والثاني فمثل البدن في اعضائه. والثالث مثل الحيوانية في الانسان والفرس. والرابع مثل الانسانية والفرسية في الحيوانية. والخامس مثل زمان الطوفان. والسادس مثل الجسم في مكانه. والسابع مثل النبات في وعائه. والثامن مثل صورة النار في هيولاها. والتاسع مثل مدبّر المدينة. والعاشر مثل مكمّل السفينة. الحادي عشر مثل اللون في الجسم. والنفس عريّة عن جميع هذه الأمثال ولا يقال في حقها انها في الشيء. الثاني لأنّ هذه اللفظة لا تليق الّا بالاجسام. والنفس هي بعيدة عن الامور اللاحقة بالاجسام والاعراض وما يشاكلها دائماً. لأنّ علاقة النفس بالبدن علاقة اضافية شوقية ولا يقال اين هي النفس من البدن او من اعضائه (١

الفصل الثالث والثلاثون

في البحث عن زرع الرجل أهو حيّ ام ميت أمتنفس هو ام غير متنفس

اقول انّ الزرع الذي يصلح للصورة البشريّة هو حيٌّ متنفّس بالقوّة. وذلك مثل وجود الاضراس بالطفل والمحية بالحدث. امّا الزرع الذي يبرز في الحلم او المرض او في غيره فذاك مثل البُصاق والعرق والدموع وغيرها

الفصل الرابع والثلاثون

في انّ النفس لا تستحيل بالطبع

واعلم انّ النفس لا تستحيل بالطبع ولا يطرأ عليها تبديل واذا اصابها الفساد انّما يصيب صفاتها دون جوهرها وذاتها. ويبلغ هذا الفساد الغاية القصوى فينتهي امّا الى الرذائل واما الى الفضائل. ويمكنه الاستحالة من احد الطرفين الى الآخر. ولولا ذلك لكان امتنع عليها تحصيل العلم والعمل اللذين هما المطلوبان منها ولاجلهما خُلقت وارتبطت بالبدن بقدرة العزيز الحكيم تبارك اسمهُ (ستأتي البقية)

١) خلاصة هذا الفصل انّ النفس ليست في البدن كما تكون الاجساد في بعضها او كما تتعلّق الاعراض بالجواهر وانّما هي بالجسد على صفة الأرواح فهي كلّها في البدن وكلّها في كلّ اعضاء البدن. وهي مع ذلك متّحدة مع الجسد اتّحادًا جوهريًا لانّها صورة الجسد تعطيه الكيان والحياة والحسّ والنمو